

ماذا تفعلين أيتها الطفلة الصغيرة  
بهذه الأزهار النضرة  
ماذا تفعلين أيتها الفتاة  
بهذه الأزهار الذابلة (جاك بريفير)

أغلقت مدينتي جفونها بعد نهار من اللعب مع الصبية باتت هذه المدينة صفراء، حمراء، دخلت جمجمتي أغلقت باب داري فغرفتني. مازلت (أتقرفص) داخل هذه الصورة المعلقة على جدران الغرفة المعجونة بلون غريب غير ألوان السنين الماضية خمسة عشر عاما هي سنوات عمري مرت كشريط أمام سينما الذاكرة ساعة ساعة ويوما يوما، الليل والنهار، الشتاء والصيف. ذلك الصيف قبل عام كنا نجلس نحن الأربعة أمي وأبي كنا ممسكين بأذيال الصمت وأخي يحدثني عن حلمه بالسفر لفضاءات لم تطأها أعين البشر وأنا (متقرفصة) عند النافذة بثوبي الأبيض الشفاف بلا كمين المعلق بخيطين رفيعين عند كتفيّ، نهدي برتقالتان، النافذة تعكس بشكل شفاف بروزهما من جانب الثوب كنت أنصت له على الرغم من أني اتلّص في جوف تنور، فجأة قفز واحضر (كاميرة) الصحيفة التي يعمل بها التقط صورة كتب على ظهرها (رغيف ابيض في التنور). أصبحت الصورة حديث الأهل والأقارب والجيران كنت انقل التعليقات إلى صديقتي عندما كنا نلعب (التوكي) في الشارع. أمي تؤكد وباستمرار (مازالت ابنتي طفلة) ولكن أبي وأخي وكل رجال العشيرة يؤكدون أني كبرت ونضج جسدي وأدلتهم الملامح الواضحة في جسدي ولذلك يجب أن لا اخرج للعب في الشارع ويصرون على أن أتعلم الطبخ وانتظر ريثما يتقدم أحد رجال العشيرة للزواج بي، وامي تصر على أن جسد طفلتها لم يختمر بعد وتقاتل كي لا يتزوجني أحد من رجال العشيرة فكان هذا الجدل جمرة أضرمت النيران بسنين مشبعة (بالبنزين) جمعت أمي وأبي. انفصل أبي عنا وذهب ليعيش بعيدا مع زوجته الجديدة التي يقولون عنها مطيعة جدا، بعده بفترة هاجر أخي الى السماء السابعة وكانت طائرته للسفر رصاصة في عينه عندما كان يصور على جبهات القتال، لقد تحقق له ما أراد وسافر، واليوم صرت أنا وامي وحيدتين ولكننا لم نشك أبدا من هذه الوحدة، فأمي امرأة قوية وجدت لها عملا يضمن لنا الاعتماد على نفسينا كما تقول، أما أنا فأخذت الحيرة تتسلل ألي من مكائنها الخفية، خلعت ثوبي ووقفت أمام المرأة أطلع جسدي هل نضج كما يقولون أم انه لم يختمر بعد؟ فالطفلة التي تتحدث عنها أمي اعرفها جيدا ولكن الفتاة التي يتحدثون عنها لم اتصفح ملامحها وحياتها بعد. كان غياب أمي في العمل يمنحني الفرصة الكافية للغور بتفاصيل الفتاة العجيبة ومكائنها الدفء الملونة التي تعترئها. لبست ثوبا قصيرا إلى ما فوق ركبتي كشف عن ساقَي البيضاوين ملتصقا بصدري فشمخ نهدي، سرحت شعري واخذ احمر الشفاه موضعه، جميلة هذه الفتاة، سرت بتغنج، رأسي للخلف فبرز صدري للأمام، تلك تعليمات تعطي لعارضات الأزياء، أحدهم يسير بجانبني بسيارته الفخمة، من المؤكد أن الفتاة ستتنجبه، سيارة أخرى ولعبة البصق عليه، منبه سيارة أخرى يعزف لحنا لم آلفه من قبل.. ركبت هذه السيارة، صاحبها يغازلني يمضي بهذه الفتاة إلى شقته، لا بد انه يعلم أني امثل دورها، مضى يشاركني التمثيل أطلعني على مياه الدفء الملون وهي تغمر رمالا عطشى ثم قبلني فوق جبيني إعجابا منه بإجادتي الدور. عدت للدار بغير ما خرجت خلعت فتاتي، ولبست الطفلة ونمت.